## اللغة العاميّة واللغة الفُصحى

تقدم لنا من القول في هذه المسئلة ما لم يبقَ معهُ محلٌّ لمعاودة البحث فيها لولا ان رأينا من تحمس ارباب الاقلام عندنا وتضافرهم لصدّ هذه الغارة ما قدّرنا معهُ ان الخواطر قد صارت متأهبةً لقبول ما يُلقَى اليها وما بشّرنا بان القوم قد هبّوا من غفلتهم واستيقظوا للذود عن آخر ذخيرةٍ ابقاها لهم الدهر بل آخر مظهرٍ يمثّلهم في عالم الوجود ألا وهو اللغة التي هي عنوان الامة والمعنى الذي يشخّص بهِ كيانها وتمتاز بهِ عن سواها . وقد طالما كانت هذه النهضة مما تمنيناهُ وتابعنا ندآءنا بالتنبيه اليهِ والحث عليهِ فلم نصادف الا عيوناً ساهية وآذاناً صمآء فالحمد لله ثم للقاضي ولمور الذي بعث تلك الهمم من رقدتها ولو بدُفعةٍ من المآء البارد ...

ولقد كنا نتوقع بعد الذي شهدناهُ من استطارة الخواطر على اثر ما اعلنهُ المؤيد من رأي المستر ولمور ان نرى من القوم غير ما رأيناهُ من طرق الدفاع عن اللغة واتخاذ الذرائع التي تضمن بقآءها وتجعلها بمأمنٍ من استئناف هذه الكرّة ولكنا لم نجد في جميع ما وقفنا عليهِ من المقالات الطويلة والرسائل المتتابعة الا ما يستفاد منهُ تسخيف رأي الخصم والاعلان برفض ما عرضهُ على الامة ثم مُسحت الاقلام على هذا القدر واكتفى القوم بما حجُّوا بهِ المستر ولمور واصحابهُ وبقيت اللغة بحالها وهي بادية المقاتل

على ان مسئلة حياة اللغة او موتها لا تتوقف على اقناع الخصم بقوة البرهان او افحامهِ بكثرة اللغَط ولا على رضى الامة بما عرضهُ القاضي ولمور او

إبآئها لهُ فانا لو فرضنا ان المشار اليهِ طوى كتابهُ او احرقهُ وأمنّا على اللغة من جهتهِ لم نأمن عليها من جهةٍ اخرى هي اشدّ خطراً عليها من كتاب ولمور واعظم وبالاً ونعني بها جهة الامة نفسها وبالحري جهة علمآئها وأئمتها فانهم هم المطالبون بحياة اللغة واليهم ينتهي ما يكون من بقآئها او اضمحلالها . على ان ما ذكرهُ المستر ولمور في مقدمة كتابهِ سواءٌ كان الغرض منهُ مصلحة قومهِ كما تأولهُ المتأوّلون ام مصلحة الامة المصرية كما هو ظاهر قولهِ فانهُ لا يخلو من مواضع استبصار حريّة بأن لا يذهلنا عامل الحنق على المؤلف او الاشفاق على اللغة او الدين ان ننظر فيها ونعمل بما تقتضيهِ قطعاً للسان الخصم وتداركاً لحال الامة . واهمّ تلك المواضع امران احدهما كثرة تشعب قواعد اللغة واتساعها الى ما يفوت الحافظة ويستغرق الزمن الطويل في تعلمها مما يكون عائقاً عن تحصيل سواها من العلوم والثاني قصور الفاظها عن ادآء المعاني العلمية والصناعية وسائر مواضعات الحضارة العصرية على ما اشرنا اليهِ فيما سبق وكلاهما لاريب فيهِ ولا غنى عن تداركهِ

فاما الاول فمن المعلوم ما بلغت اليهِ النحاة من كثرة المذاهب واختلافها وتعدُّد الاقوال في كل مسئلة وكثرة المفترضات والمستنبطات مما يتشتت بهِ ذهن الطالب ويعجز عن استيعابهِ لكثرتهِ وربما قضى عمرهُ بطولهِ في درس قواعد النحو ومراجعتها ولا يزال شيءٌ منها غائباً عنهُ حتى لا يأمن اللحن احياناً من حيث لا يشعر . وذلك ان العرب كانت قبائل متفرقة لكلٍّ منها لغاتٌ ومذاهب تنفرد بها عن عامتّها فلما جمع النحاة تلك اللغات تعين على المتأخران يتعلمها جميعاً ثم زادوا على ذلك كل ما سُمع في

الشعر شاذًّا عن القواعد حتى في لسان الشاعر نفسهِ وحينئذٍ فمنهم من اطلق القياس على هذا الشاذ ومنهم من قصرهُ على الضرورة . قال الاندلسيّ في شرح المفصّل والكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيهِ جواز شيءٍ مخالف للاصول جعلوهُ اصلاً وبوّبوا عليهِ بخلاف البصريين قال ومما افتخر بهِ البصريون على الكوفيين أن قالوا نحن نأخذ اللغة عن حرَشة الضِباب وأكلَة اليرابيع وانتم تأخذونها عن أكلَة الشوآء وباعة الكواميخ[1] ... قلنا وما ذُكر هو اصل الخلاف بين البصريين والكوفيين بل اصل هذا الفساد الذي طمى على اللغة والنحو حتى اصبح الخائض في مسائلها كالخابط في ظلماتٍ بعضها فوق بعض . وزد على ذلك ان منهم من كان يضع البيت من عندهِ يقصد بهِ نصرة رأيٍ ذهب اليهِ او توجيه كلمةٍ صدرت منهُ فيتناولهُ الائمة عنهُ ويحتجّون بهِ في تصانيفهم فازداد الخرق بذلك اتساعاً والطينة بلةً وقد ذكروا ان في كتاب سيبويه خمسين بيتاً من هذا القبيل لا يُعرَف قائلوها

وهناك شيءٌ آخر يسمونهُ تركيب المذاهب وهو يشبه تداخل اللغات قال ابن جنّي وذلك ان تضمّ بعض المذاهب الى بعض وتنتحل بين ذلك مذهباً ثالثاً .. فاذا سميت رجلاً بيَرَى ( مضارع رأى ) فمذهب يونس ان يصغّر على يُرَيئي بردّ الهمزة المحذوفة ومذهب سيبويه ان يصغّر على يُرَيّ مثل فَتَى وفُتَيّ لانهُ يكتفي بالحصول على مثال التصغير . ثم ان يونس يمنع

---

(١) الضباب جمع ضبّ وهو دويبة برية تعرف بالحرذون وقيل الحرذون ذكر الضباب وحرش الضبّ صادهُ . واليرابيع جمع يربوع وهو دويبة نحو الفارة والكواميخ جمع كامخ بفتح الميم وفسرهُ في شفآء الغليل بالمخلل يشهي الطعام

صرف يُرَيِّي وسيبويه يصرف يُرَيّ فيقول من ركّب المذهبين رأيت يُرَيِّئاً بردّ الهمزة على مذهب يونس والصرف على مذهب سيبويه وهو مذهب المازني

ويلحق بذلك كلهِ من التعليلات والتوجيهات في كل مسئلةٍ بين ان تُرَدّ الى اصل كذا أو اصل كذا وان تجري على هذه اللغة أو تلك ما يفوت الحصر ويستوقف البصيرة حائرةً دون الحكم . وانظر في ذلك الى كلامهم في اصالة المصدر أو الفعل وفي عامل المنادى والمستثنى واسماء الشرط وتعيين نائب الفاعل في نحو قولك مُرَّ بزيدٍ بين ان يكون الجارّ والمجرور أو المجرور وحدهُ أو الجارّ وحدهُ أو شيئاً آخر غير الجارّ والمجرور اي المصدر المفهوم من الفعل وفي مثل اعراب لا سيما وأَجدّك لا تفعل وكأني بك شاعرٌ ولا عاصم اليوم والفرق بين البدل والبيان ومسائل الصفة المشبهة الى غير ذلك مما اختلفت مذاهبهم فيهِ ولم يدعوا وجهاً مما يمكن ان يتمثل للذهن أو يُتوصل اليهِ بقياسٍ صحيح او فاسد الا طرقوهُ وجعلوهُ مجالاً للماحكة والجدال . وهذا وامثالهُ هو الذي صيَّر احكام اللغة الى ما شاع عنها من الصعوبة والاشكال حتى صارت تُعَدّ طلسماً من الطلاسم أو كنزاً من الكنوز المرصودة وهو كما ترى يرجع جلهُ او كلهُ الى مذاهب النحاة واختلافاتهم وليس من كلام العرب في شيء وانما هو صنيع من لا شغل لهُ غير الصور اللفظية يقلّبها على ما تحتملهُ من الوجوه فلم يَدَع في ذلك ولم يَذَر

ولا يخفى ان هذا التوسع كلهُ مما لا يحتمل اليوم فضلاً عن ان الكثير منهُ لا حاجة اليهِ الا في بعض الاحوال لتخريج آيةٍ او حديث او بيتٍ

من الشعر وهذا ليس مما يجب ان يحيط بهِ كل طالبٍ للغة والا لزم تعطيل بقية العلوم والاقتصار على علوم العربية وحدها وهي لا تغني في مقام التنازع العصريّ شيئاً

ولذلك فاول ما ينبغي الاهتمام بهِ تأليف لجنةٍ من ذوي البصائر السليمة والعلم الصحيح تتولى كتب النحو بمثل ما فعل مؤلفو مجلة الاحكام العدلية في الكتب الشرعية فيختارون من كل قاعدةٍ اصح الاقوال وامثلها لتكون مرجعاً لطلاب هذه الصناعة وتُنبذ بقية الاقوال الساقطة والمذاهب المرجوحة ويكون في ضمن ذلك اهمال كل ما يتعلق بالقرآءات المختلفة واللغات الشاذّة والضرورات الشعرية مما يُترَك الكلام عليهِ للتصانيف المختصة بهِ بحيث يتخلص النحو في الوجوه التي عليها الاستعمال ويكون ذلك ذريعةً تتوحد بها قواعد اللغة كما توحدت اللغة بالقرآن

ومثل ذلك يُفعَل بكتب متن اللغة فتُنبَذ منها اللغات المتروكة والالفاظ الوحشية من كل ما لا يُرَى في الكتب المتداوَلة لهذا العهد وما لا يجوز للفصيح استعمالهُ على ما نصّ عليهِ علمآء البيان لان هذه كلها مما يقتضي الاطالة في الشرح الى حد الملل ويكثِر التخليط على الطالب من غير فائدة . ثم يُنظَر في التعاريف المبهمة او المهملة ولا سيما تعاريف اسمآء الحجارة والجواهر وانواع النبات والحيوان على قدر ما يمكن التوصل اليهِ ولو بالادلة الوضعية والمناسبات الاشتقاقية وترتّب الالفاظ على وجهٍ سهل المراجعة لا يكلف عنآءً ولا بحثاً طويلاً بحيث تكون كتب اللغة عندنا على مثل ما هي عليهِ في اللغات الاوربية

فاذا امكن الوصول الى ذلك كان ولا جرم وسيلةً لتقريب منال اللغة على الوطنيّ بحيث لا يبقى بمعزلٍ عنها ولا يُضطرّ ان يضيع الزمن الطويل في تعلمها وسهّل تناولها على الاجنبيّ فلا يجد فيها من العقبات ما يشكوهُ اليوم . وفي ذلك فوائد اخر اهمّها بعد ما ذُكر تكثير عدد المتعلمين في الامة وبالتالي شيوع اللغة الفُصحَى بين افرادها لتمكنهم من فهم كتبها وهذا ولا ريب من آكد الاسباب لتصحيح لغة الاقلام واللغة العامية جميعاً لان الكاتب حينئذٍ يتحدّى ما يقرأهُ من الكتب الفصيحة واذا تكلم تجافى ما استطاع عن الالفاظ السوقية والتعبيرات السخيفة مما يؤدّي الى ان تبطل شيئاً فشيئاً على تراخي الايام ( ستأتي البقية )

## لسان العرب لا يُمسَخ

بقلم حضرة الكاتب نجيب افندي الجاويش

ليس من غرضي في تدوين هذا المقال ابطال رأي من قال بضرورة ابدال لغة العرب الفُصحَى باللغة العامية وتقميصها اشكالاً عتيقة لاتينية وبعبارةٍ اخرى الاستعاضة عن صورة الحسناء بصورة الشوهاء فهذا شأنٌ قد احتُجّ عليهِ ونهضت براهين الكتبة والمحققين على تزييفهِ وتجريحهِ وتضافرت الآراء الصائبة على انهُ رأيٌ فائل ومذهبٌ عاطل وانما غرضي الاقصى تذكير ابناء هذا اللسان الشريف وقد تنفع في هذا المقام الذكرى ان كل احتجاجٍ بغير سعيٍ عجز وكل اقوال لا يعقبها افعال بناءٌ في الهواء وكلمات مكتوبة على صفحات الماء اقول هذا محرضاً علماء الاسلام والنصرانية في مصر وسورية